

# فكاهات

## رقائير

حفظ اليهود (١)

كان لاحد نبلاء الانكليز ولدٌ وحيد بين خمس اخوات فعني بتربيته على قواعد الفضيلة وتهذيبه باشرف الآداب والعلوم ولا سيما وان الاب كان قد طعن في السن وشعر بقرب الاجل فاحب ان يموت مطمئن القلب موطد الامل بوجود من يحيا اسمه من بعده ويقوم بسياسة الاملاك الواسعة والثروة الطائلة ويكون عضداً للفتيات الخمس والدتهن . وكان الولد واسمه هنري قد تلقى من والدته منذ حداثة الآداب الدينية والاخلاق الحسنة وادرك انه سيكون يوماً ما هو الخليفة الوحيد لوالده فلم يكن يميل كباقي اولاد المظالم الى الترف واللغو والاسراف فشب فتى حريصاً طامعاً لطيفاً مكمل الصفات الادبية ولما حان زمن ارساله الى المدرسة الجامعة اخذه اليها والده وسلمه الى حراسة الله وعناية الاساتذة . وبقي هنري في المدرسة بضع سنوات عاد في نهايتها على غاية ما كان والده يتمنى فتلقاه بوجه طاق وضمة الى صدره وقد ايقن منه بالخالف الصالح الذي يحيا اسمه ويكون عضداً لمن يليه . ثم خطر له انه لا بد ان يكون في حاجة الى ترويح النفس

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من عنآء الدرر فنقدهُ مبلغاً من المآل وآمرهُ ان يذهب فيتجول مدةً في عواصم اوربا او حيث شآء ثم يعود اليه بعد ان يكون قد آكتسب صحبةً ونشاطاً فيسلم اليه مقاليد الاشغال . فجهز هنري لوازمهُ وودع آله وسافر متنقلاً من مكان الى مكان ومن بلدة الى آخرى . وفي اثناء الطريق تعرف برفيق يدعى برتران فسأله هنري عن وجهته فقال اني قاصدٌ موت كرلو . فقال هنري وما عسى ان يكون هذا المكان . قال هو فردوس الهوى فيه غياض وادواح واوجهٌ ملاح وما شئت من لهوٍ وافراح . قال هنري اظنني قد سمعت به في انكلترا وهذا المحل تقصده الاغنيآء للمقامة وقتل الوقت بالخلاعة . قال برتران انه لكذلك وقد دعاني بعض اصداقائي لموافاته الى هناك فانا منطلقٌ اليه . قال هنري اما انا فلا ناقة لي في هذا المكان ولا اجل واني لآسف اتي سآفارك من الآن . فجعل برتران يزمن لهنري المكان ويفريه بمرافقه قائلاً ان لم يكن لك ميلٌ الى المقامرة فامامك الغادات الحسان وان كنت لا تميل الى هؤلآء ايضاً فهناك من المناظر الطبيعية وجودة الهواء وحسن الموقع ما لا بد انك تستحسنهُ . وما زال عليه حتى وعده بالذهاب معه

ولما بلغا موت كرلو انغمس برتران في اللعب والهوى واما هنري فأوى الى نزل كان يقيم به معظم اوقاته ويتجول احياناً في ضواحي المدينة للانتعاش بهوائها الرطب ونسيمها العليل . وكان في النزل المقيم فيه هنري فتاةٌ تتماطى الخدمة فلما وقع نظر هنري عليها اخذت بمجامع فؤاده وتأمل في هيئتها فرأى مآكاً في صورة بشر فجعل يترقب القرص لمحدثتها ثم اخذ

يفحص معارفها فوجدها اديبة مهذبة قد تجسد فيها طيب الخلق ورقيق  
الاحساس وكان كلما كلمها وسبر طباعها يزيد هيامه فيها . وسألها يوماً عما  
الجأها الى تطايط تلك المهنة وقد كان في امكانها ان تكون على حال افضل مما  
هي فيه . فتهدت بتأوه وقالت قد القاني حظي الى هذا المكان بارادة  
قادرة لم يمكني مقاومتها واني لصابرة على حكم القضاء الى ان تنشاني من هنا  
يد العناية . وادرك هنري ان للفتاة سرّاً لا تحب ان تبوح به فلم يزد في  
البحث عما هنالك غير انه ما زال يظهر تودده للفتاة الى ان كاشفها اخيراً  
بمحبتة وتبادلا المهود الوثيقة على الامانة والوفاء وتواعدا على الاقتران بعد  
ان تكون هي قد تمت زمن خدمتها ويكون هو قد رجع الى بلاده وحصل  
على رضى والديه . وبعد ان مكث هنري هنالك شهراً ودّع الفتاة وكان  
اسمها متيلدا وسافر راجعاً الى وطنه

وبعد ان رجع هنري الى والده اخذ يتربص الفرص لمفاجئته بالامر  
وكان والده يود ان يزوجه قبل وفاته فلما اخذ هنري يسرد له اوصاف  
الفتاة وادابها ومعارفها برقت اسرته واطهر سروره العظيم ولكنه لما علم ان  
الفتاة خادمة نزل في مونت كارلو انقابت سجنته فحفظت عيناه وتطايير  
الشر من مقلتيه وصاح بولده ماذا تقول ايها النبي تريد ان تتخذ لك امرأة  
تشاركك في حمل اسم هذه الأسرة الشريفة وهي غانية من فنادق  
مونت كارلو . لقد ساء فألي ايها الولد العقوق وكنت فيما مضى اظنك  
مثال اييك ولكنك لم تلبث ان كذبت ظني وأريتني منك اخلاق السفلة  
اللاثام فيا لضياح الامل ويا لحية المسعى . آه يا ليتني مت حين خروجك

من المدرسة لاني في ذلك الحين كنت اظنك تعزية شيخوختي وخاتمة سروري اما الآن فسا نزل الى قبوري وفي قلبي حسرات بل حسرة واحدة تميمتي غمًا وقهراً وهي ان ارى اسرتي التي شرفها آباي وجدودي يبينها ولد ضال نظيرك . اعلم يا هنري اني افضل ان ينقطع اسم هذه الأسرة بوفاتي وتُدرس جميع ماثرها من ان ارى فيك وارثاً يجب على اسم آباءه الدناءة والعار فان بنات مونت كرلو لم يُخلقن ليمترج دهن بدم اسرتي . واعلم يا هذا انك مخير بين امرين اما ان تقطع من هذه الدقيقة كل علاقة مع هذه الفاجرة او ان تقطع من هذه الدقيقة نسبك بي

وكان هنري قد اجمته مفاجأة والده له بهذه اللغة القاسية فوقف حيران كمن تتكسر النصال على اوصاله وهو لا يدري ماذا يفعل . وبعد ان صمت حيناً قال مهلاً يا ابنت انك انت تقر بحسن سيرة ولدك وتشهد له بالعمفة والادب فهل تعتقد اني لم اخص الفتاة فحساً مدققاً وهل كنت آتيك بهذا الخبر لو لم اتحقق انها مثال العمفة والطهر . فقال الوالد ولو كانت من ملائكة السماء فكفاها انها في مونت كرلو . قال هنري عجباً يا والدي وهل تقل قيمة الذهب اذا وجد مطموراً في الاوحال والاقذار . قال قد كبرت عن ان اتعلم فلسفتك ولا احب الجدال فأجني على سؤالي الاول في الحال . قال هنري ولكنك تحب مني ان اكون شريفاً والشرف يقوم بمحافضة الانسان على كلامه ومواعيده فانا قد وعدت الفتاة ان لا اتزوج سواها ولا يمكنتي ان احنث بيمينتي . فقال الوالد وقد ارغى وازبد كالجمل الهائج اذا ترك اسرتك من اجل هذه الفاجرة فاذهب من بيتي ايها الدنيء واعلم اني

من الآن ليس لي ولدٌ يرث اسمي فاختر لنفسك ما يحلو لك واياك ان  
تؤمل الغفران فاني قد نهذتك وجهدتك وطردتك واني لاسكب عليك  
لعنات والد شيخ في دقائقه الاخيرة فلنصب عليك السماء غضبها وانخرج  
لك الارض مصائبها وليكسر الدهر قلبك كما كسرت قلب والدٍ ترجى فيك  
الحير فسأء فآله . أغرب من وجهي ايها الممقوت وانس ان لك والدين  
واخوات . ولم يسمع هنري بقية كلام والده ولعناته لانه شعر بان الارض  
تهتز تحت قدميه وتخيل ان حجارة البناء تتساقط على رأسه فخرج من  
البيت وهو لا يدري اين يذهب . وفيما هو منطلق رآه احد اصداقاه والده  
الاخصاء يسير على غير هدى فتبعه ولم يتركه حتى قص عليه هنري الخبر  
كما وقع فأشار عليه الصديق ان يتعد عن انكثرا وانه هو يسمى في استمالة  
والده في غيابه ثم اسلفه مقدارا من المال وسافر هنري مرة ثانية من بلاده  
وهو يردد في ذهنه كلمات والده الاخيرة فيرى الارض امامه حجيا متقدما  
بالنار وهو قد دُفع اليه فلا يرجو الخلاص

ووصل في مسيره الى بلاد الهند فعزم على اتخاذها وطناً له وتعاطى  
فن التجارة فيها وكان لا يفتر عن مكاتبه حبيته فسكانت اجوبتها تزيده  
ولعاً بها وشوقاً اليها وثباتاً على عهد ودادها واسفاً على ممانعة ابيه في الاقتران  
بها . ودام الحال كذلك مدة سنتين الى ان جاء البريد مرة ولم يكن معه  
رسالة من حبيته فأظلمت الدنيا في عينه وزادت شجونته وهمومه ومر  
شهران ولم يردده خبر من جهتها ولم يعلم ما حل بها ولا سبب انقطاعها عن  
مكاتبته فكاد يفقد رشاده

وفي ذات يوم ورد عليه كتاب من صديقه في انكثرا ينمى اليه وفاة والده ويبشره بان الوالد لما شعر بحلول الاجل ندم على ما فعل بابنه فرجع عن قسمه وغفر له وعينه الوارث الوحيد لاملاكه واسمه وشرفه والح عليه صديقه بالحضور سرياً الى وطنه ليستولي على ميراثه . فحزن هنري حزناً عظيماً على وفاة والده وتمنى لو قدر ان يراه قبل مفارقة الحياة لكي يتزود منه البركة الاخيرة . اما رجوع الميراث اليه فلم يسره كثيراً لانه كان قد سئم الحياة بعد انقطاع اخبار حبيبته ولم يعد له مطمع في العيش الهنيء ولكنه علم ان عليه واجباً طبيعياً لا سبيل الى التفادي منه وهو الاعتناء باخواته بعد وفاة والده فاسرع في قطع علاقته في الهند وركب سفينة مسافرة توارى الى انكثرا فوصل اليها واستولى على ميراثه وشرع يهتم بامر املاكه ولكن اهتمام من يسمى لمنفعة غيره ولا يهيمه امر نفسه .

وكان ساكناً في جوار منزله رجل من اعيان الانكليز طاعن في السن قد قضى معظم حياته في الاسفار والتنقل من بلاد الى اخرى مراعاة لصحته ومسرته . فاتفق ان هذا النبيل كان غائباً كما دته يوم وصول هنري الى وطنه ثم انه بعد مدة عاد من سفره وكان قد لقي في ايطاليا فتاة من اسرة انكليزية قديمة فال قلبه اليها واقترن بها وجاء بها الى قصره . ولما استراح النبيل من وعكة السفر ذهبت اخوات هنري للسلام على زوجته قياماً بحقوق الجوار ولم يذهب هنري معهم لشغل منه اذ ذاك . فلما انقضت الزيارة عادت اخواته الى البيت وهن يثنين على العروس ويذكرن جمالها ورقتها ودعتها وحسن آدابها وشرعن في وصف ملامح وجهها وقوامها

ولباسها وحركاتها وحدثها كما هي عادة النساء في مثل هذه الحال فكان هنري يسمع لهن في اول الامر غير مبال بما كن يقننه ولكنهُ لم يلبث ان تنبه له حديثهن ثم صار يضطرب وينتفض كالعصفور لانه وجد ان الوصف الذي كن يصفن به العروس كان منطبقاً تمام الانطباق على حبيبتة التي لم يعرف ابن موضعها ولا اين كانت

وبعد ايام صنع النبيل مأدبة حافلة دعا اليها كثيرين من اصحابه ومن جلتهم هنري واخواته فلما وقعت عين هنري على العروس اضطرب اضطراباً شديداً وخفق قلبه وتلثم لسانه لانه رأى بها حبيبتة المفقودة فجاء وسلم عليها وهو لا يدرك معنى كلامه فاستقبلته بوجهه باش وسلمت عليه سلاماً عادياً بمنتهى اللطف والرقّة ولم تبدُ على محياها علامات الحب التي كان هنري يتوقع ظهورها . فتمعّب وزاد قلقه ولكنهُ لم يقدر ان يطيل الحديث لان عدد المدعوين كان كبيراً وكان على ربة القصر ملاطنة الجميع والترحب بهم وبعد الفراغ من الطعام صدحت الموسيقى وابتدأ الرقص فاغتنم هنري تلك الفرصة وسأل العروس ان ترقص معه فاجابته ولما شرع في الرقص قال لها همساً ما اسرع ما نسيّتي فالآن علمتُ سبب انقطاع كتبك عني . فنظرت اليه متعجبة وقالت لم افهم مرادك فاني لم اكتب اليك بته . قال ارجو ان تنزلي معي الى الحديقة فان الجميع مشتغلون الآن بالرقص ولي كلامٌ اقولهُ لك على انفراد . ثم قادها بيدها وسار بها نحو الحديقة فاجلسها تحت ظل شجرة ملتفة وجلس بجانبها وقال ماذا فعلتُ حتى احرقت قلبي بصدودك . ألم تعاهدني على الحب الصادق فلماذا نقضت عهودك . قالت

اني لا اعرفك يا هذا ولا اذكر اني رأيتك في حياتي فكيف تقول اني احببتك  
وعاهدتك وكتبت اليك . فما كان منه الا ان جثا على ركبتيه امامها والدموع  
تساقط من عينيه وقال اذا شئت نسيان ما مضى فانا لك لاني احبك حباً  
لا استطيع لهُ وصفاً فانكري عهدك اذا شئت ولكنك لا تقدرين ان  
تنزعي حبك من قلبي فاهنتي مع زوجك واذا كان دعاء مثلي يستجاب  
فاني ادعو الله ان يجعل حياتك بركة لك ولزوجك ولكل من ينتسب  
اليك . واني كنت قد وعدت نفسي بان اجعلك شريكه حياتي فساء فألي  
ولكني لا اطلب لك الا الهناء والسعادة ...

وفي تلك الدقيقة كان النيدل قد استبطأ زوجته فجاء يطلبها فوجدها  
في الحديقة ووجد هنري جاياً امامها فاستشاط من الغيظ وقال له والغضب  
يقطع كلامه اخرج من منزلي حالاً فقد دنست حرمة الجوار والمودة . ثم  
طرد هنري من باب الحديقة واقتفل ورائه ودخل بزوجه الى الدار  
اما هنري فاظلمت الدنيا في عينيه ولم يعلم ماذا يفعل لان انكار حبيته  
ايه وظن جاره به سوءاً زادا بلباله وغمومه فخرج هائماً على وجهه وبعد  
ايام سافر الى فرنسا راجياً ان يلهو عن اضطراب قلبه بكثرة الاسفار . وفي  
ذات يوم بينا كان جالساً في نزل بباريز اذ وردت اليه رسالة برقية من النيدل  
جاره يقول فيها « اسرع وتعال الينا فقد اتضح الامر وتحققت برأتك فعجل  
جيئك للاستيلاء على السعادة التي تنتظرك » فتمعجب من مضمون هذه الرسالة  
وسافر للحال راجعاً الى وطنه ولما دخل قصره وجد النيدل في انتظاره فنهض  
مرحباً به وقال له هلم معي في الحال فاني لا استطيع الصبر الى ان تبدل اثوابك

ثم جرّه بيده الى قصره وادخله البهو فتركه فيه هنيهةً وخرج ثم عاد اليه وقال قم فادخل هذه الغرفة فان زوجتي تنتظرك فيها لتكلمك على انفراد . فدهش هنري من هذه المعاملة ودخل الغرفة وهو حائر لا يفهم المراد من كل ذلك فابصر سيدتين كانت احدهما ربة المنزل واما الثانية فلم يقع نظره عليها جلياً حتى كانت بين ذراعيه واذا بها حبيبة متيلدا

وكان سبب اجتماعهما انه لما اخذ اللرد زوجته بعد ان طرد هنري شرعت تقص عليه حديث هنري وسبب جنونه امامها الى ان قالت والذي يتبادر الى ذهني ان هنري هذا يحب اختي ونحن توأمان لا تكاد الواحدة منا تُفارق عن الاخرى وقد توفي ابوانا ونحن طفلتان فتريننا في مدارس اليتامى ولما بلغنا سن الصبوة عزمت رئيسة المدرسة ان تدخلنا في سلك الراهبات ولما ضايقتنا هربنا من المدرسة ثم تشتت شمانا فلم اعلم اين ذهبت اختي ولا علمت هي بمقرّي . فتعجب زوجها من هذه القصة واستفهم من اخوات هنري عن المسكان الذي رأى فيه حبيبة متيلدا ثم انفذ رسلاً يبحثون عنها فعلموا ان رئيسة المدرسة عرفت بمقر متيلدا في مونت كرلو فاحتالت في القبض عليها وادخلتها الدير كرهاً . فارسل اللرد للحال واخرجها من الدير واتى بها الى قصره فاجتمعت بشقيقتها وقصت عليهم حكاية حبها لهنري ولما علم اللرد ذلك ارسل يستدعي هنري حتى اذا اجتمع الحبيبان وعلم كل منهما ان صاحبه لا يزال محافظاً على عهده ولم يكن مانعاً من اقترانها انتهت قصتهما كما تنتهي قصة كل عاشقين خدما السعد فعاشا هنا عيشة انستهما ما مرّ بهما من كوارث الايام وما زال كذلك الى ان فرّق بينهما الحمام